الدكتور يوسف القرضاوي

جيل النصر المنشود

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثالثة

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

جيل النصر المنشود

قال صاحبى ، والحيرة تطويه وتنشره ، والهم يقيمه ويقعده ، بعد ما رأى مجازر بيروت ، ومذابح صبرا وشاتيلا، يُراق فيها الدم الإسلامى بلا حساب ، وتُذبح فيها النساء والأطفال والشيوخ بلا خوف ولا حياء ، وتُهدم البيوت ، وتُدمَّر المخيمات على أهلها العزل بلا مبالاة ، والعرب خاصة - والمسلمون عامة - فى مشرقهم ومغربهم عاجزون عجز الموتى ، والعالَم المتحضر يتفرج على المأساة ولا يُحرِّك ساكناً ، ولا يُسكِّن متحركاً : أما رأيت؟ أما سمعت ؟ !!

قلت : بلى ، رأيتُ وسمعتُ ، وعشتُ المأساة بقلب يتفطر، وأعصاب تحترق ، لما رأيت من تخاذل العرب ، وعجز المسلمين ! وقبل ذلك غُزِيت بلاد إسلامية فى عُقْر دارها ، ودُمِرت مدن إسلامية عريقة على أهلها ، وهُدمت مساجدها ، وقُتِل الراكعون الساجدون فيها ، وانتُهكت أعراض المحصنات المؤمنات ، ولم نسمع ولم نر للعرب والمسلمين كلمة أو موقفاً فيه إنكار على

الطغاة ، أو نجدة للمستضعفين ، إنما هو صمت القبور الموحشة فى الليل البهيم !

فإذا سمعتَ لهم صوتاً جهيراً ففى شتم بعضهم بعضاً ، وإذا رأيتهم يوماً يتحركون بحماس وقوة ، ففى قتال بعضهم بعضاً ! كأنما أرادوا أن يكونوا على النقيض من أصحاب رسولهم الكريم .. الذين كانوا ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) ، ليكونوا هم أشداء على أنفسهم ، رحماء بعدوهم ، أعزة على المؤمنين ، أذلة للكافرين ! وكأنما أعجبهم من صفات اليهود ما وصفهم الله به من قبل : ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ، تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

قال صاحبى : ولكن أما لهذا الظلام من آخر ؟ أما لهذا الليل من فجر ؟ أما آن لهذه الأمة أن تعرف غايتها ، وتهتدى إلى طريقها ؟ أما آن لها أن تجمع كلمتها ، لتقتل عدوها ، بدل أن يضرب بعضها رقاب بعض ؟ أما آن أن تذكر نفسها بعد أن نسيت نفسها ؟ أما آن لها أن تغسل ذل الانكسار بعز الانتصار ؟ أما آن لها أن تمحو أيام الهزائم والنكسات السود ، بيوم أبيض . كيوم خالد فى اليرموك ، أو سعد فى القادسية ، أو عمرو فى أجنادين ،

---

(١) الفتح ٢٩ (٢) الحشر : ١٤

أو طارق فى الأندلس ، أو صلاح الدين فى حطين ، أو قطز فى عين جالوت ، أو محمد الفاتح فى القسطنطينية ؟

قلت له : لا تيأس ياصاحبى ، فسُنَّة الله أن يعقب الليل الغاسق بفجر صادق ، وأشد ساعات الليل حلكة وسواداً هى السويعات التى تسبق بزوغ الفجر ، ولكن لله فى خلقه قوانين صارمة لاتحابى ، وسُنناً ثابتة لا تتبدل . ولا بد لنا أن نعيها ، ونتعامل على بصيرة معها . ونركز هنا على أمرين أساسيين :

● روح أُمتنا الإسلام :

أولاً : إن للأمم روحاً ، تحيا به ، كما للفرد روح ، فإذا فقدت الأمة روحها أصبحت أفراداً بغير رباط ، أو بناءً بغير أساس . كما أن الفرد إذا فقد روحه أصبح جثة بلا حياة . وصدقنى ياصاحبى أن أمتنا تعيش فى زماننا بغر روح ، أو يراد لها أن تعيش بغير روح !

قد تقول لى : ما روح أمتنا ؟ ومَنْ ذا يريد لها أن تعيش بغير روح ؟

وأقول بكل صراحة : روح أمتنا هو الإسلام ، هو الذى أحياها بالأمس من موات ، وجمعها من شتات ، وهداها من ضلالة ،

وعلّمها من جهالة ، وأخرجها من الظلمات إلى النور ، وجعلها خير أمة أخرجت للناس .

الإسلام هو الذى أنشأ من عُبّاد الصنم ورعاة الغنم ، رعاة الأمم ، وهداة الظلم ، هو الذى نشر هذه الأمة بين المشرق والمغرب والشمال والجنوب ، يُعلّمون الكتاب والحكمة ، وينشرون العدل والرحمة ، ويجمعون الناس تحت راية العلم والإيمان . ويُخرجون الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

الإسلام هو الذى أبقى على الأمة فى عصور الضعف ، حرّكها لصد الغزو ، واستثار قواها ووحدتها لمقاومة الزحف التترى القادم من الشرق ، والزحف الصليبى القادم من الغرب ، وهو الذى كان وراء نصرها على الصليبيين فى حِطّين، وعلى التتار فى عين جالوت. وهو القادر على أن يعيد إليها اليوم حيويتها ، ويوحد باسم الله كلمتها ، ويفجر بالإيمان طاقاتها ، فمن أراد لهذه الأمة أن تعيش بغير الإسلام ، فقد أراد لها أن تحيا بلا روح ، وأن تكون غثاء كغثاء السيل .

وأما الذين يريدون لها أن تعيش بغير روح فهم أعداؤها، الحاقدون عليها ، والخائفون منها ، والطامعون فيها ، جمعتهم –

على تفرقهم – الأحقاد والمخاوف والأطماع ، ليكيدوا لها كيداً ، ويمكروا بها مكراً ، ما بين يهودى فاجر ، وصليبى ماكر ، وشيوعى كافر ، وبين عميل لهذا أو ذاك ، يعملون سافرين حيناً ، ومقنَّعين أحياناً .

* * *

● بعض مشكلاتنا الكبرى :

ومشكلة المشكلات : أن جمهرة الأمة مخدَّرة ذاهلة عن نفسها ، غافلة عن حقيقة رسالتها ، وهى مبرر وجودها وبقائها . فهى لا تعرف عدوها من صديقها ، ولا تبصر ما يُحَاك لها من مؤمرات فى الظلام ، وما يُدَس لها من سموم فى الدسم والحلوى ، وما يُوجَّه إليها من معاول الهدم فى صور براقة ، وتحت عناوين خدَّاعة . فهى تسمى الكفر حرية ، والفجور فناً ، والانحلال تقدماً ، وتحسب الورم شحماً، والسراب ماءً !

ومشكلة – بل مشكلات أخرى – تعانيها أمتنا ، هى الفجوة التى نحسها ونلمسها بين المسلمين بعضهم وبعض ، نتيجة للعصبيات القومية أو الإقليمية أو اللغوية ، وللمذاهب المستوردة التى اتبعت سبلها الأنظمة المختلفة ، فتفرقت بهم عن صراط اللّه .. وللأنانيات الحاكمة التى تؤثر الهوى على الحق ، والمغنم العاجل

على رضوان الله تعالى ، والمنفعة الشخصية أو المحلية على مصلحة الأمة الكبرى .

ثم هناك الفجوة التى نشعر بها داخل كل بلد بين الحكّام والشعوب ، فالشعوب بفطرتها وتاريخها وواقعها مع الإسلام ، والحكّام بحكم نشأتهم وتربيتهم ومصالحهم وولاءاتهم مرتبطون بالمعسكرات المعادية للاسلام . فهم لهذا - إن لم يكرهوا الإسلام - يخشون من حكمه أن يعود ، ويخافون من تعاليمه أن تسود وتقود . وبهذا يبقون فى واد ، وشعوبهم فى واد آخر ، كأنهما خطان متوازيان لا يلتقيان !

ثم تأتي الفجوة الأخرى بين النخبة المتعلمة والجماهير ، فالجماهير فى جملتها دينية التفكير ، دينية المشاعر ، دينية السلوك . أما النخبة - أعنى كثرتها لا جميعها - فقد غزاها الاستعمار الثقافى وعزلها عن قاعدتها ، وحشا رؤوسها بمفاهيم خاطئة عن الإسلام وشريعته وتاريخه وأمته ، فغدت تؤمن بالعلمانية (اللادينية) فكرة ومنهاجاً ، وتعتبر الدين مجرد علاقة بين المرء وربه ، فلا يُسمح له أن يقود الحياة أو يتدخل فى المجتمع بالتشريع أو التوجيه أو التنفيذ. فإن سُمِحَ له بموقع فحسبه المسجد للصلاة أو للموعظة ، وحسبه حصة الدين فى المدرسة ، والحديث

الدينى فى الإذاعة أو التليفزيون ، والعمود الدينى فى الصحيفة .. وهم بذلك متبرعون له متفضلون عليه ! أما أن يتخذ الاسلام نظاماً للحياة ، أو دستوراً للدولة ، فلا ، وألف لا !

* * *

● قوانين النصر :

إن النصر لا يأتى عفواً ، ولا ينزل اعتباطاً ، ولا يخبط خبط عشواء ....

إن للنصر قوانين وسُنناً سجلها اللّه فى كتابه الكريم ، ليعرفها عباده المؤمنون ويتعاملوا معها على بصيرة .

* أول هذه القوانين :

إن النصر من عند اللّه تعالى . فمَنْ نصره اللّه فلن يُغلب أبداً ، ولو اجتمع عليه مَنْ بأقطارها ، ومَنْ خذله فلن يُنصر أبداً ، ولو كان معه العَدد والعُدَّة .

وهذا ما نطقت به آيات القرآن واضحة بلا غموض ، قاطعة بلا احتمال : ﴿ إِنَ يَنصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

---

(١) آل عمران : ١٦٠ .

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

قد ينصر اللّه القِلّة على الكثرة كما نصر أصحاب طالوت - على قلتهم - على جند جالوت مع كثرتهم ، رغم أن فى أصحاب طالوت مَنْ قال حين رأى كثافة العَدد ، وقوة العُدَد فى جيش جالوت : ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢).

وقد ينصر مَنْ ليس معه جيش ولا سلاح قط ، كما نصر رسوله محمداً ﷺ يوم الغار : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

---

(١) الأنفال : ٩ - ١٠ .   (٢) البقرة : ٢٤٩

(٣) التوبة : ٤٠ .

* القانون الثانى :

إن اللّه لا ينصر إلا مَنْ نصره ، فمَنْ نصر اللّه نصره اللّه ، قانون جاء بصيغة الشرط والجزاء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (١)

وجاء فى صورة الخبر الثابت المؤكد بلام القسم ونون التوكيد: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ، إنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢) .

إنما تتحقق النُصرة للّه تعالى بنُصرة دينه ، وإعلاء كلمته ، وتحكيم شرعه فى خلقه ، وبهذا جاء فى وصف مَنْ ينصرون اللّه تعالى عقب الآية السابقة قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إن مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَواْ عَنِ المُنكَرِ ، ولِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ (٣) .

وقد يُعبِّر القرآن عن نصر اللّه تعالى بالإيمان ، أو الجندية للّه تعالى ، فمَنْ آمن باللّه حق الإيمان فقد نصر اللّه تعالى ، وغدا جندياً فى جيشه . وفى هذا يقول سبحانه : ﴿ وكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) محمد : ٧ — (٢) الحج : ٤٠ .

(٣) الحج : ٤١ — (٤) الروم : ٤٧

ويقول : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ ﴾ (١) .

* القانون الثالث :

إن النصر - كما لا يكون إلا للمؤمنين - لا يكون إلا بالمؤمنين، فالنصر لهم ، والنصر بهم ، فهم غاية النصر ، وعُدَّته ، وفى هذا يخاطب الله رسوله الكريم بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (٢) .

قد ينصر الله مَنْ يريد نصره بالملائكة يتنزلهم من السماء إلى الأرض ، كما فى غزوة بدر والخندق وحنين : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ (٣) .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (٤) .

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (٥) .

وقد ينصر الله مَنْ يريد نصره بالظواهر الطبيعية يُسخِّرها فى خدمته ، أو يُسلِّطها على عدوه ، كما سَلَّطَ الريح على المشركين

---

(١) الصافات : ١٧٣
(٢) الأنفال : ٦٢ - ٦٣
(٣) الأنفال : ١٢
(٤) الأحزاب : ٩
(٥) التوبة : ٢٦

فى الخندق : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً ﴾ (١) ، وكما أنزل المطر رحمة على المسلمين فى بدر : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾ (٢) .

وقد ينصر الله مَنْ يريد نصره بأيدى أعدائه وأعداء الله أنفسهم ، بما يقذف فى قلوبهم من رعب يدمر معنوياتهم ، ويقتل شخصياتهم ، كما حدث ليهود بنى النضير : ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ، وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يَا أُوْلِى الأَبْصَارِ ﴾ (٣) .

ولكن أدوات النصر هذه كلها تتوقف على وجود « المؤمنين » .

فالملائكة التى نزلت فى بدر ، لم تنزل على فراغ ، بل قال الله لهم : ﴿ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ (٤) .

---

(١) الأحزاب : ٩ ، فصلت : ١٦
(٢) الأنفال : ١١
(٣) الحشر : ٢
(٤) الأنفال : ١٢

وفى غزوة الأحزاب أرسل الله ريحه وجنوده حين ﴿ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ (١) .

وفى غزوة حنين : ﴿ أنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

وفى غزوة بنى النضير كانوا : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

* * *

● حاجة الإيمان إلى رعاية وحضانة :

وإذا كان النصر لا يكون إلا للمؤمنين وبالمؤمنين ، فإن هؤلاء المؤمنين لا يهبطون من السماء ، ولكنهم ينبتون من الأرض .

وهم ليسوا نبتاً برياً ، يخرج بلا بذر ، وينمو بلا جهة ، ويثمر بلا رعاية ، بل هو نبت يحتاج إلى زُرَّاع صادقين صابرين ، يتعهدونه فى مراحل نمائه بالسقى والتسميد ومقاومة الآفات ، حتى يستوى على سوقه ، ويؤتى أكله بإذن ربه .

---

(١) الأحزاب : ١١ (٢) التوبة : ٢٦

(٣) الحشر : ٢

ولا غرو أن صوّر اللّه سبحانه جيل الإسلام الأول من أصحاب رسوله الكريم بهذه الصورة البيانية الناطقة : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى الإنجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ ﴾ (١).

* * *

● أكبر هم المصلحين الإسلاميين :

لهذا كان أكبر هم المصلحين الإسلاميين الواعين أن ينشأ فى الأمة جيل مسلم مؤمن جديد يستحق أن يسمى « جيل النصر » هو أول ما تحتاج إليه أمتنا .

جيل يعود بالإسلام إلى ينابيعه الصافية ، ويفهمه فهماً صحيحاً متكاملاً ، خالصاً من الحشو والشوائب ، فليس هو إسلام عصور التخلف ، الذى كدرت عقائده الخرافات وأفسدت عباداته البِدع ، وغلبت على أخلاقه السلبية ، وطغى على فقهه الجمود والتقليد والعصبية المذهبية . إنما هو الإسلام الأول ، الذى نزل به القرآن العظيم ، ودعا إليه الرسول الكريم ، وآمن به أصحابه الأطهار ، وحكم به خلفاؤه الراشدين ، وقامت على أساسه حضارة شامخة

---

(١) الفتح : ٢٩

الذرا ، موثقة العرا ، وصلت الأرض بالسماء ، وقادت الدنيا بالدين ، وجمعت بين العلم واليقين .

إنه إسلام الحق والقوة ، إسلام العلم والعمل ، إسلام الجهاد والاجتهاد ، إسلام الشمول والتوازن .

إنه الإسلام الذي يؤكد الكرامة للفرد ، والترابط فى الأسرة ، والتكافل فى المجتمع ، والشورى فى الحكم ، والتنمية للإنتاج ، والعدالة فى التوزيع ، والحقوق للجميع .

إنه الإسلام الذى يجعل حياة الفرد كلها لله ، فلا ازدواج ولا صراع ، فقد اتحدت غايته ، وتحددت وجهته ، واتضح طريقه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١] .. ويجعل حياة المجتمع كلها لله ، فلا يقبل قسمتها بين سلطتين متنازعتين : قسم لقيصر يسمى « الدولة » ، وقسم لله يسمى « الدين » ، فإن قيصراً وما لقيصر لله الواحد الأحد .

الإسلام الذى يدعو إلى العدل ولو كان لصالح أعدى معاديه : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ

---

(١) الأنعام : ١٦٢

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ﴾ (١) ، وينهى عن الاعتداء ولو كان على أشد شانئيه : ﴿ وَلاَيَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَىٰ ، وَلاَتَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُواْ اللَّهَ ﴾ (٢) .

الإسلام الذى يقاوم إلحاد الشيوعية ، كما يقاوم طغيان الرأسمالية ، ويرفض صراع الطبقات ، كما يرفض تظالم الطوائف ويدعو إلى التدين الذى ينبت الحب ، لا إلى الطائفية التى تنفث الحقد .

الإسلام الذى يقاوم ظلم الحكّام ، وحكم الظلام . الذى يقول للحاكم : لا تظلم ، ويقول للشعب : لا تخنع . ويُعلّم المسلم أن يقول فى دعائه : « اللّهم نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك مَنْ يفجرك » .. إذ يجعل أفضل الجهاد : « كلمة حق عند سلطان جائر » .

الإسلام الذى ينتصر للضعفاء حتى يأخذوا حقهم من الأقوياء ، ويقاتل الأغنياء إذ امتنعوا من أداء حق اللّه المعلوم للفقراء .

---

(١) المائدة : ٨ (٢) المائدة : ٢

ويحرِّض أبناءه على أن يقاتلوا ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ ﴾ (١) .

هذا هو الإسلام كما يفهمه هذا الجيل المنشود ، وكما يؤمن به ، وكما يدعو إليه . وبه أبصر عقله واستنار قلبه . بهداه يبصر الهدف ، ويبصر الطريق ، يعرف نفسه ، ويعرف ربه ، يعرف دينه ، ويعرف دنياه ، يعرف تراثه ، ويعرف عصره ، يعرف صديقه ، ويعرف عدوه ، ويعرف مَنْ ينير له الطريق ، ومَنْ يريد أن يضلله عن الهدف ، وأن يلوى زمامه عن سواء السبيل .

* * *

● جيل من المسلمين والمسلمات :

جيل من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات .. .. فالنساء في الإسلام شقائق الرجال ، والمرأة تكمل الرجل ويكملها : ﴿ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ (٢) .

---

(١) النساء : ٧٥ (٢) آل عمران : ١٩٥

والمرأة شريكة الرجل منذ قال الله لآدم : ﴿ اسْكُنْ أنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (١) .

وهى مُكلَّفة مثله منذ قال لهما : ﴿ وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ (٢) .

وهى مجزية على عملها مثله : ﴿ أنِّى لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ﴾ (٣) .

وقد كان للمرأة نصيبها البارز فى نُصرة الإسلام ، وتبليغ دعوته ، والتمكين له فى الأرض ، حين بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق ، وهل ينسى التاريخ موقف خديجة بنت خويلد فى فجر الدعوة ؟ وموقف سمية أم عمار زوجة أول شهيد صبر على العذاب حتى الموت من أجل الإسلام ؟ أو موقف أسماء ذات النطاقين يوم الهجرة ؟ أو موقف أم عمارة ونسيبة يوم أُحد ؟ أو موقف أم سليم يوم حنين ؟ أو مواقف أمهات المؤمنين فى حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ؟

كانت المرأة المسلمة هى الأم التى تُحرِّض أبناءها على

---

(١) البقرة : ٣٥ (٢) البقرة : ٣٥

(٣) آل عمران : ١٩٥

الاستشهاد . والزوجة التى تدفع زوجها إلى التضحية والبذل ، والمؤمنة التى تسهم بنفسها وجهدها فى سبيل الله ، والعالمة التى تحفظ القرآن وتروى الحديث ، وتتفقه فى الدين . تدعو إلى الله على بصيرة ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتُخطِّئ أمير المؤمنين على المنبر ، فهى عضو حى فى جسم المجتمع الذى وصفه الله بقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1].

فلا عجب أن يكون لها اليوم - كما كان لها بالأمس - دور فى دعوة الإسلام ، ومكان فى حركة التجديد . تعمل فيه مزكية لنفسها ، وداعية لبنات جنسها ، وهن نصف المجتمع أو أكثر ، أو معينة لزوجها على الدعوة إلى الله ، أو ملهمة ودافعة لأبنائها وبناتها على عمل الخير وخير العمل .

* * *

---

(١) التوبة : ٧١

• سمات هذا الجيل فى القرآن والسُنَّة :

جيل لا تخفى سماتهم وأوصافهم على مَنْ قرأ القرآن الكريم ، أو درس السُنَّة النبوية .

مَنْ قرأ كتاب اللّه تعالى ، وجدهم فى كثير من سوره وآياته ..

وجدهم فى سورة الأعراف ، حين يتلو قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١) . فالحق غايتهم ، والحق منهاجهم ، والحق مرجعهم ، إليه يدعون ، وبنوره يهدون ، وبحكمه يعدلون .

وفى سورة المائدة حيث بشّر اللّه بهم المؤمنين ، وأنذر بهم المرتدين ، وادخرهم فى آخر الزمان لمقاومة الردّة وتثبيت الإيمان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

فهذه سماتهم وملامحهم ، إنهم مع اللّه بالمحبة ، ومع المؤمنين بالرحمة المعبَّر عنها بالذلة ، ومع الكافرين بالشدة المعبَّر عنها بالعزة ،

---

(١) الأعراف : ١٨١

(٢) المائدة : ٥٤

ومع الحق بالجهاد المبرأ من الغايات لأنه جهاد في سبيل الله ، ومع الناس جميعاً بالنصح الذى لا يخشى فى الله لوم اللائمين .

وفى سورة التوبة نسبتين المعالم المميزة لشخصيتهم وسيرتهم وأخلاقهم ، عن شخصية أهل النفاق وسيرتهم وأخلاقهم ، فإذا كان المنافقون متشابهين فى الولاء للباطل : ﴿ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ (١) ، أى البذل فى سبيل الحق ، فهؤلاء كما وصف الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

نجدهم فى أوائل سورة البقرة حيث ذكر الله صفات المتقين ، المهتدين بكتابه المبين ، وفى أواسطها حيث وصف أهل البر الحقيقى لا الشكلى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٣) ، وفى مطالع سورة المؤمنين حيث وصف الله ورثة الفردوس ، وفى خواتيم سورة الفرقان حيث وصف عباد الرحمن ، وفى أواسط سورة الرعد حيث وصف أولى الألباب : ﴿ الَّذِينَ

---

(١) التوبة : ٦٧ (٢) التوبة : ٧١ (٣) البقرة : ١٧٧

يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ [١] ، وفى آواخر سورة الحجرات حيث رد على الأعراب الذين توهموا الإيمان دعوى بلا عمل ولا عطاء : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [٢] .

بل مَنْ فتح المصحف وقرأ سورة الفاتحة برزت له ملامحهم ، حيث يراهم يرتقون مدارج السالكين ومنازل السائرين ، إلى مقامات : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [٣] فهم أهل التوحيد حقاً ، أهل العبادة للّه وحده ، والاستعانة به وحده ، لا يعبدون غيره ولا يستعينون سواه ، عليه يتوكلون ، وإليه ينيبون .

أعظم ما يتطلعون إليه ، ويسألون اللّه إياه ، أن يهديهم « صراطه المستقيم » صراط الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ، بعيداً عن طريق المغضوب عليهم ، وطريق الضالين [٤] ، فهو صراط متميز عن سبيل هؤلاء وهؤلاء ، وهم باهتدائهم « الصراط المستقيم » قد وجب عليهم مخالفة أهل الجحيم .

---

(١) الرعد : ٢ .　　(٢) الحجرات : ١٥　　(٣) الفاتحة : ٥

(٤) فى الحديث : « اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون » .

ومَنْ طالع السُنّة المطهَّرة وقرأ الأحاديث الشريفة رآهم بعين قلبه رؤية لا غبش فيها ، وعرفهم معرفة مفصلة ، كأن النبى ﷺ رآهم من وراء الغيب ، فحدَّث عنهم ، ونوَّه بهم ، وبشَّر بظهورهم .

رأى فيهم « الفرقة الناجية » بين الهالكين من الفرق الثلاث والسبعين ، لا تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، ولا يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، بل يكونون على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه .

ورأى فيهم « الخَلْف العدول » الذين يحملون ميراث النبوة حمل الدعاة الوعاة ، ويحافظون عليه محافظة الأمناء الرعاة ، لا كالذين : ﴿ حُمِّلُواْ التَوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفَاراً ﴾ (١) ، ولا كالذى آتاه الله آياته فانسلخ منها (٢) ، يبقون على هذا الميراث أصالته ونصاعته وتوازنه وشموله ، وينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

رأى فيهم « إخوان رسول الله » فى الآخرين ، حيث كان أصحابه فى الأولين ، اشتاق إليهم قبل أن يوجدوا ، وتمنى أن يراهم قبل أن يولدوا ، ففى الحديث : « وددتُ لو أنى رأيتُ إخوانى » .. قالوا : أوَ لسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : « أنتم أصحابى ، أما إخوانى فقوم يأتون بعد » .

---

(١) الجمعة : ٥ ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَوْرَاةَ .. ﴾ .
(٢) اشارة إلى الآية ١٧٥ من سورة الأعراف .

رأى فيهم « الغرباء » الذين يحبون ما أمات الناس من سُنَن النبوة ، ويُصلحون ما أفسدوه منها .. فطوبى لهم .

رأى فيهم « أعجب الخلق إيماناً » آمنوا برسول الله ﷺ ولم يروه ، وآمنوا بكتابه « القرآن » وعملوا بما فيه .

رأى فيهم « القابضين على دينهم » فى أيام الفتن - بين المضيعين والضائعين - وإن كان « كقبض على الجمر » العاملين به فى أيام الصبر رغم المعوقين والمخذلين ولا غرو فللعامل منهم أجر خمسين .

رأى فيهم « الطائفة القائمة على الحق » بين المبطلين ، الداعية إلى الاتباع من المبتدعين ، المستمسكة بالوَسطية بين الغلاة والمقصرين ، المهتدية إلى الصراط المستقيم بين المغضوب عليهم والضالين .

رأى فيهم الفئة المنصورة التى تتحرر على يديها فلسطين ، وتنهزم يهود ، ويكون كل الكون فى صفها ، حتى الشجر والحجر، يؤيدها ويدلها على أعدائها - بلسان الحال أو بلسان المقال - قائلاً: « يا مسلم .. يا عبد الله .. هذا يهودى ورائى فتعال فاقتله » (متفق عليه) .

* * *

● جيل يؤمن بالواقعية والعلمية :

جيل يتجاوز العشوائية ، ويكفر بالغوغائية ، ويحتكم إلى الحقائق لا إلى الأوهام ، ولا ينسى وهو يتطلع إلى السماء أنه واقف على الأرض ، فلا يجرى وراء خيال كاذب أو حلم فارغ ، أو أمانى موهومة ، فيسبح فى غير ماء ، ويطير بغير جناح !

جيل كبير الآمال ، ولكنه واقعى التفكير ، يرنو إلى شاطئ الأحلام ، ولكنه يتوقع هياج البحر ، وغضب الموج ، ومفاجآت الأعاصير ، يعلم أن الدهر قلب ، وأن الدنيا دول ، وأن الأيام سجال ، وأن دوام الحال من المحال : ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) .

جيل واقعى لا يسبح فى البر ، ولا يحرث فى البحر ، ولا يبذر فى الصخر ، ولا ينسج خيوطاً من الخيال ، ولا يبنى قصوراً على الرمال !

ولا ييأس من روح الله ، ولا يقنط من رحمة ربه ، ولكنه يعرف حدود قدراته ، ودائرة امكاناته ، فلا يبتغى الثمرة قبل أوانها ،

---

(١) آل عمران : ١٤٠ .

ولا يستعجل الأشياء قبل إبّانها ، ولا يورط نفسه فيما لا يستطيع ، ولا يدخل نفسه فى مأزق لا يعرف الخروج منه ، متمثلاً قول الشاعر :

وأحزم الناس مَنْ لو مات من ظمأ

لا يقرب الوِرْدَ حتى يعرف الصدرا !

جيل يراعى قوانين الله فى كونه ، كما يراعى أحكامه فى شرعه ، يتبنى سياسة النَفَس الطويل ، والصبر الجميل . فهو يصبر على البذرة حتى تنبت ، وعلى النبتة حتى تورق ، وعلى الورقة حتى تزهر ، وعلى الزهرة حتى تثمر ، وعلى الثمرة حتى تنضج ، وتُؤتى أكلها بإذن ربها !

جيل يؤمن بالعلم ، ويحترم العقل ، ويدين للبرهان ، ويرفض الخرافة ، ولا يتبع الظن وما تهوى الأنفس ، تَعلّم من القرآن والسُنّة أن التفكير فريضة ، وأن التأمل عبادة ، وأن طلب العلم جِهاد ، وأن الجمود على القديم لمجرد قِدمه جهل وضلال ، وأن الاتباع الأعمى للآباء والكبراء فساد وخبال ، فهو لهذا يفكر قبل أن يحكم ، ويتعلم قبل أن يعمل ، ويستدل قبل أن يعتقد ، ويخطط قبل أن ينفذ ، ولا يقبل حكماً بلا بيِّنة ، ولا دعوى بلا

برهان . قد وضع نُصب عينيه قول الله تعالى : ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ ؟ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣) .

* * *

● جيل عمل وبناء جماعي :

جيل لا يضيع جهده عند التغني بأمجاد الماضي ، ولا عند النواح على هزائم الحاضر ، ولا عند التمني لانتصارات المستقبل .. إنما يؤمنون بأن المجد بالعطاء لا بالمفاخرة ، وبالانتاج لا بالثرثرة ، وأن الفتى مَنْ يقول ها أنا ذا ، وليس الفتى مَنْ يقول : كان أبي .. وأن الانتصار على مآسي اليوم ، وتحقيق آمال الغد ، إنما يتحقق بالجد لا بالهزل ، وبالبناء لا بالهدم ، وبالعمل الهادي لا بالصراخ المدوي ، وأن الإيمان الحق ما وَقر في القلب وصدَّقه العمل . وما خلق الله الناس إلا ليعملوا ،

---

(١) الأنعام : ١٤٣ (٢) الأنعام : ١٤٨

(٣) البقرة : ١١١ ، والنمل : ٦٤ .

بل ما خلقهم إلا : ﴿ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (١) . ولهذا يعتبرون العملَ فريضة ، وإحسانه عبادة ، والتعاون عليه جهاداً ، موقنين بأن الله لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملاً ، ولا يظلم مثقال ذَرَّة، وسيرى الله عملهم ورسوله والمؤمنون .

جيل يؤمن بأن العمل الجَماعى لنُصرة الإسلام واستعادة سلطانه ، فريضة وضرورة ، فريضة يوجبها الدين ، وضرورة يحتمها الواقع ، وأن إصلاح الفرد - وإن كان هو الأساس- لا يتم إلا فى ظل جماعة يعيش فى كنفها .

تعلّموا من كتاب ربهم أن الله يخاطبهم بالتكاليف بصيغة الجماعة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُواْ ﴾ حتى يشعروا أنهم متكافئون فى تنفيذ ما أمر الله تعالى ، والانتهاء عما نهى عنه ، كما تعلّموا منه أنهم يناجون ربهم إذا قرأوا الفاتحة فى كل صلاة بصيغة الجماعة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٢) فهو يتكلم باسم الجماعة ، وإن كان وحده خالياً حتى تظل الجماعة حية فى ضميره ، مذكورة على

---

(١) الكهف : ٧ ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

(٢) الفاتحة : ٥ - ٦

لسانه ، وبذلك تذوب فرديته فى سبيل أمته وتختفى « أنا » لتبرز مكانها « نحن ».

وتعلّموا كذلك من كتاب ربهم أن يعتصموا بحبل اللّه جميعاً و لا يتفرقوا ، وأن يتعاونوا على البِرّ والتقوى ، وأن يتواصوا بالحق والصبر ، وألا يختلفوا كما اختلف الذين من قبلهم فيهلكوا كما هلكوا ، ولا يتنازعوا فيفشلوا وتذهب ريحهم .

أجل .. علّمهم دينهم ، وعلّمهم تاريخهم ، وعلّمهم واقعهم ، أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، ضعيف بمفرده ، قوى بجماعته ، وأن اليد وحدها لا تصفق ، وأن صيحة الفرد وحده لا تُسْمِع ، وأن يد اللّه مع الجماعة ، وأن الذئب إنما يأكل من الغنم القاصية ، وأن اتحاد العدد القليل يقويهم ويعوضهم بقوة الوحدة عن ضعف القِلّة ، وأن اختلاف العدد الكثير يضعفهم ، فلا تغنى عنهم كثرتهم شيئاً. وأن الأهداف الكبرى التى يريدون من الأمة تحقيقها من التحرر والوحدة والنهوض والنماء ، وتحكيم الإسلام فى الداخل ، وتبليغه فى الخارج ، لا يمكن أن تتم إلا بجهود جَماعية بنَّاءة ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وقد علموا من قراءة الواقع : أن أهل الباطل يتكتلون حول

باطلهم فأولى بأهل الحق أن يتجمعوا على حقهم ، وأن مَنْ فرقُتهم أيام الرخاء ، أهل لأن يجتمعوا فى ساعة الشدة : « إنَّ المصائب يجمعن المصابينا » وأن المعارك الكبرى توحد المختلفين أمام العدو المشترك : ﴿ إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (١) .

إن اللَّبنات المتناثرة - مهما يكن عددها - ومهما تكن متانة كل واحدة منها - لا يكون منها بناء ينتفع به الناس . إن نفعها مرهون بتجمْعها وتماسكها بصورة منتظمة ، وفقاً لتصميم معلوم ، ونظام مرسوم .

لهذا صمموا على أن يبحثوا عن أشباههم ممن ينشدون الحق ويرفضون الباطل ويدعون إلى الخير ، وينكرون الشر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ليضعوا أيديهم فى أيديهم ، ويضموا جهدهم إلى جهدهم ، لتتكون من اللبنات المتناثرة جدار متين ، ومن الجدران المتعددة دار شامخة ، ومن الدور المتنوعة مدينة عامرة ، فمضوا فى طريق العمل الجَماعى ، يعملون فى صمت ، يعيشون متواصلين بالحق والصبر ، متواصلين فى العُسر واليُسر ، ويبنون فى صبر ، ويجاهدون بلا كلل ولا ملل ،

---

(١) الصف : ٤

وعزموا على أن يكونوا متعاونين على البرِّ والتقوى ، متكاتفين فى السرَّاء والضرَّاء . فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

* * *

● جيل ربانية وإخلاص :

جيل من « الربانيين » الذين يعيشون فى الدنيا بقلوب أهل الآخرة ، ويعيشون فوق الأرض وقلوبهم تهفو إلى عرش الله ، حيث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وقد وصلوا بحبل الله عراهم ، وأضاءوا بنوره خطاهم ، وعمروا بحبه قلوبهم ، ورطبوا بذكره ألسنتهم ، وشغلوا بطاعته جوارحهم.. فهم بالله ولله ، ومن الله وإلى الله . بالله اعتصامهم ، ولله قيامهم ، ومن الله استمدادهم ، وإلى الله فرارهم ، وعلى ضوء كتابه حركتهم وسكونهم ، يحبون فى الله ، ويبغضون فى الله ، ويصلون فى الله ، ويقطعون فى الله ، ويعطون لله ، ويمنعون لله ، ويسالمون لله ، ويحاربون لله ، فالله مبدؤهم ، والله غايتهم : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ ﴾ (١). ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ (٢) .

---

(١) الحديد : ٣ (٢) النجم : ٤٢

أبرز ما يميزهم عن غيرهم أنهم « مخلصون » . قد أخلصوا دينهم لله ، كما أخلصهم الله لدينه . قد أيقنوا أن الدنيا خُلقَت لهم ، أما هم فخلقوا لله وحده . فلا غرو أن وضعوا نصب أعينهم قول ربهم : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ (١) .

فإذا اختلفت غايات الناس فى الحياة الدنيا ، ما بين منهوم بالمال ، ومشغوف بالشهرة ، ومغرم بالسطوة ، ومفتون بالمرأة ، ومتيم بالكأس ، ومتطلع إلى الملك . فإنهم لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً ، ولا يبغون جاهاً ولا مالا ، ولا يجرون خلف شهوة أو شهرة ، يدعون ربهم ألا يجعل الدنيا أكبر همهم ، ولا مبلغ علمهم . فإذا جاءتهم الدنيا جعلوها فى أيديهم ، ولم يدخلوها فى قلوبهم ، واتخذوها طريقاً ، ولم يتخذوها غاية . إنما همهم الآخرة ، وغايتهم رضوان الله ، فكل ما دون الله والجنَّة سراب ، وكل ما فوق التراب تراب !

خالطت قلوبهم بشاشة التوحيد ، فلا يبغون غير الله رباً ، ولا يبتغون غير الله حَكَماً ، ولا يتخذون غير الله ولياً ، قد حطموا من حياتهم كل الأوثان ، وبرئوا من كل الآلهة المزيفين ، فلم تعد تركع

---

(١) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

ظهورهم لغير عبادة اللّه ، كما لا تركع عقولهم وقلوبهم لغير كلمة اللّه . فهموا معنى مناجاتهم لربهم : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١) فلم يعودوا يعبدون إلا اللّه ، ولا يستعينون أحداً سواه . تحرروا من عبادة أنفسهم وأهوائهم ، وشر إله عبد فى الأرض الهوى . كما تحرروا من عبادة كل شئ دون اللّه ، أو مع اللّه .

لا يعبدون الأصنام ، ولا يعبدون الأوهام ، ولا يعبدون الأهواء ، ولا يعبدون الأشخاص ، ولا يعبدون الطبيعة ، ولا يعبدون الطاغوت أياً كان اسمه وعنوانه وصورته . فقد وعوا عن رسل اللّه نداءهم للبَشر : ﴿ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٢) . قد تبيَّن لهم الرُشد من الغَيِّ ، فكفروا بالطاغوت ، وآمنوا باللّه ، فاستمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها .

* * *

● جيل نسبه الإسلام :

مَنْ سأل عن جنسيتهم أو نسبهم أو هويتهم فهم « مسلمون » . لا بالاسم واللقب ، ولا بحكم الوراثة أو البيئة ، بل بالدراسة

---

(١) الفاتحة : ٥ (٢) النحل : ٣٦

والبرهان ، والتذوق والتخلق ، فهم يؤمنون بالإسلام عن بيِّنة ، ويرفضون الجاهلية عن دراية ، ويدعون إلى الله على بصيرة ، ويكفرون بالطاغوت على علم . لا يبتغون غير الإسلام ديناً ، ولا يرضون بغير شريعته منهاجاً ، ولا يقبلون غير كتابه دستوراً .

وكيف لا يرضونه وقد رضيه الله لهم ، وأتم به النعمة عليهم : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (١) .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

﴿ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (٣) ، وإذا دعوا إلى تحكيم الطاغوت - وكل ما عدا الله ورسوله طاغوت - قالوا : أبينا وعصينا .

يرفضون التبعية للغرب وللشرق جميعاً ، فنورهم مقتبس من شجرة مباركة : ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ

---

(١) المائدة : ٣ (٢) آل عمران : ٨٥

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور : ٥١) .

لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُّورٌ عَلَىٰ نُور ﴾ (١) ، لا يقبلون ظلم الرأسمالية ولا ظلام الشيوعية ، ولا ينتمون إلى يمين أو يسار ، فمكانهم دائماً فى المركز ، وموقفهم هو الوسَط بين الأطراف المتباينة ، لا يعملون لحساب فرد أو طبقة أو حزب أو نظام . إنما عملهم للإسلام ، وللإسلام وحده ، وولاؤهم لأمة الإسلام كلها ، ولها وحدها دون غيرها . فهم منها وإليها ، وبها ولها : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ ﴾ (٢) .

لا ينتسبون إلا للرحمن ، ولا يعتزون إلا بالإيمان ، ولا يعتصبون إلا للقرآن ، ولا يفخرون إلا بالإسلام . شعارهم قول القائل :

أبى الإسلام ، لا أب لى سواه　　　إذا افتخروا بقيس أو تميم !

* * *

● جيل دعوة وجهاد :

جيل دعوة وجهاد ، كما كان الصحابة من المهاجرين والأنصار ، إنهم من نورهم يقتبسون ، وعلى هداهم يسيرون . جاهدوا فى ذات

---

(١) النور : ٣٥　　　(٢) المائدة : ٥٦

اللّه أنفسهم ، كما جاهدوا عدو اللّه وعدوهم . لا يشغلهم جهاد عن جهاد ، ولا ميدان عن ميدان ، فهم فى معركة دائمة مع العدو الباطن والعدو الظاهر ، وهم فى صراع متواصل مع الفَجَرة فى الداخل ، والكَفَرة فى الخارج ، لا يلقون السلاح ، ولا يستريحون من كفاح ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله للّه ، أرض اللّه كلها ميدانهم ، ودار الإسلام كلها وطنهم ، قد ترى أحدهم - وهو العربى - يقاوم الزحفْ الشيوعى الأحمر فى أفغانستان ، وترى آخر - وهو باكستانى - يقاتل الزحف اليهودى الأسود فى فلسطين أو فى لبنان . فالكفر كله ملة واحدة : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (١) .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٢) .

يجاهدون فى سبيل اللّه فى كل معركة تطلبهم ، وبكل سلاح يمكنهم ، قد يكون باليد إذا كان لا بد من اليد تحمل المدفع . وقد يكون بالمال إذا احتاج الجهاد إلى المال . وما أحوج الجهاد إلى المال ! : « ومَنْ جَهَّز غازياً فى سبيل اللّه فقد غزا » . ﴿ وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ ﴾ (٣) .

---

(١) الأنفال : ٧٣ — (٢) التوبة : ٧١

(٣) التوبة : ٤١

وقد يكون باللسان إذا كان لا بد من كَلمةَ الحق يصدع بها فى وجه الباطل ، تصل إلى الناس مقروءة أو مسموعة . فإذا عجزوا عن الجهاد بالسنان ، لم يعجزوا عن الجهاد بالقرآن ، وهو الجهاد الكبير ـ كما سمَّاه الله فى كتابه ﴿ فَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ (أى بالقرآن) جِهَاداً كَبِيراً ﴾ (١) .

عَزَّ عليهم دينهم ، فهانت فى سبيله دنياهم ، وغلت عندهم عقيدتهم ، فرخصت من أجلها أنفسهم وأموالهم . ومَنْ عرف قيمة ما يطلب هان عليه مقدار ما يبذل ، ومَنْ يخطب الحسناء لم يغلها المهر ! اشترى الله منهم وباعوا ، وتمت الصفقة بينهم وبين ربهم فما ندموا ولا استقالوا .. أغلى لهم الثمن من فضله فرضوا ، وبذلوا له من ملكه فرضى . وكيف لا وقد اشترى منهم أنفساً هو خالقها ، وأموالاً هو رازقها ؟ ! ثم قال : خذوا ثمنها جَنَّة عرضها السموات والأرض ! وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ إنَّ اللَّه اشْتَرَىٰ منَ الْمُؤْمنينَ أنفسَهُمْ وأموَالَهُم بأنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ، يُقَاتلُونَ فى سَبيلِ اللَّه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْداً عَلَيْه حَقّاً فى التَّوْرَاة وَالإنجيلِ وَالقُرْآن ، وَمَنْ أوْفَىٰ بعَهْده منَ اللَّه ، فَاسْتَبْشرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذى بَايَعْتُم بِهِ ، وَذَلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ (٢) .

---

(١) الفرقان : ٥٢ (٢) التوبة : ١١١

ويقول رسوله الكريم : « مَنْ خاف أدلج ، ومَنْ أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » .

فأكرم بهم من تجار يرجون تجارة لن تبور ، تجارتهم الإيمان والجهاد ، وأسواقهم المحاريب والميادين ، ورأس مالهم الأيام والأعمار ، وربحهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار !

كلما رأوا الجاهلية تشمخ بأنف سلطان ، أو تطل برأس شيطان ، غلت صدورهم غيرة على حرمات الله ، كما يغلى المرجل فوق النار ، بل ذابت قلوبهم حسرة ، كما يذوب الملح فى الماء ، فليس شئ أشد على المؤمن من أن يتقهقر الحق ليتقدم الباطل ، وأن تختفى كلمة الله لتظهر كلمة الطاغوت !

إن غيرهم يعيش خالياً من الهموم ، إلا هم نفسه وأهله ، أما هم فيمسون ويصبحون وهم يحملون هم أمة الإسلام كلها من المحيط إلى المحيط ، تعصرهم مشاعر الأسى عليها عصراً ، ويكوى قلوبهم الحزن كياً على مصيرها .

أول ما يفكر فيه أحدهم دينه ، وآخر ما يفكر فيه دنياه ، كلهم يقول : أمتى ، ليس فيهم مَنْ يقول : نفسى نفسى . أعظم ما يشغلهم رد الشاردين عن الله ليعودوا إليه تائبين ، ودعوة

الضالين عن منهج الإسلام ليرجعوا إليه مهتدين ، ومقاومة المغيرين على أمة القرآن ليرتدوا عنها مخذولين مدحورين : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

* * *

● غرباء .. ولكن يعايشون الناس :

. بهذا الروح المتدفق ، وبهذا الاتجاه المتميز ، وبهذا الجهاد المتواصل ، عاشوا غرباء ، وإن كانوا فى أوطانهم ، وبين أهليهم وأقربائهم . إنها ليست غُربة وطن ، ولا وجه ولا يد ولا لسان ، ولكنها غُربة فكر وروح واتجاه . فهم يعيشون فى القرن الخامس عشر بأجسامهم ، ويعيشون فى القرن الأول بأفكارهم ومشاعرهم ، ينظرون إلى معاصريهم ومواطنيهم بأبصارهم ، ويرنون إلى الصحابة ببصائرهم . فيحسون بالغُربة ، ويأنسون بها و « طوبى للغُرباء » .

وهذه الغُربة لا تجعلهم ينطوون على أنفسهم يائسين ، أو يفرون إلى صوامع العزلة والتعبد الفردى مستسلمين . كما فعل الرهبان فى النصرانية ، والحنفاء فى الجاهلية . فرهبانيتهم هى الجهاد ، وحنيفيتهم هى الدعوة إلى مِلّة إبراهيم ، ولهذا يظلون فى الميدان

---

(١) فصلت : ٣٣

صامدين ، وعلى البلاء صابرين ، وفى الطريق سائرين ، يزيدون إذا نقص الناس ، ويصلحون إذا فسد الناس ، ويصلحون ما أفسد الناس .

إنهم جيل يُجَسِّد الصَحوة ، ويمثل الصفوة ، ويجسم القدوة ، ويضرب المثل ، ويتقدم الصفوف ساعة النداء ، ويتأخر عند تقسيم المغانم ، ولكنه - مع تميزه بالوعى وتقدمه بالبذل ، وتفوقه بالعطاء - لا يعيش فى برج عاجى ، بعيداً عن الناس مزهواً بنفسه ، مستعلياً على غيره ، بل يتفاعل مع الشعب ، ويعايش الجماهير المسلمة فى مواقعها ، يحمل همومها ، ويعاونها فى حل مشكلاتها ، ويشاركها مسرّاتها وأحزانها ، ويُعبِّر عن آلامها وآمالها ، ليس ذلك صدقة منه عليها ، فهى جزء منه وهو جزء منها ، لا تنفصل عنه ولا ينفصل بحال عنها ، فلا يتصور أن يتعالى عليها ، أو يكفر بها - بله أن يكفرها - بل هو حريص عليها ، رؤوف بها ، يؤازر عاملها ، ويُعلِّم جاهلها ، ويُنبِّه غافلها ، ويُذكِّر ناسيها ، ويدعو شاردها ، ويعالج مريضها ، ويقوى ضعيفها ، فهو أب للصغير ، وابن للكبير ، وأخ للنظير ، وداعية للجماهير ، لا يمل من دعوتها ، ولا يقنط من عودتها . فهى الحليف الطبيعى ، والرصيد التاريخى لكل حركة إسلامية ، وكل دعوة إيمانية .

* * *

● جيل قوة وعزة :

وهم – مع غربتهم فى قومهم وعصرهم – « أقوياء أعزاء » لم يوحشهم قلة السالكين ، ولم يوهنهم كثرة الهالكين ، فى أنوفهم شمم ، وفى قلوبهم إباء ، وفى نفوسهم ترفع واعتداد ، كأنهم الجبال شموخاً ورسواً ، أو النجوم سناءً وعلواً ، يموت أحدهم جوعاً ولا يمد يده مستجدياً ، ويُقتل صبراً ولا يحنى رأسه متذللاً ، ينظرون إلى أصحاب المال والسلطان نظرة الأطباء إلى المرضى والمسلولين ، لا يرهبونهم ولا يعظمونهم ، بل يشفقون عليهم مما يحملون على ظهورهم من أثقال ، وفى صدورهم من أسقام ، وينظرون إلى الذهب المكنوز فى خزائنهم نظرة مَنْ يعلم أنها صفائح ﴿ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ (١) .

قوتهم من قوة الحق الذى يدعون إليه ، وعزتهم من عزة اللّه الذى يؤمنون به : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً ﴾ (٢) .. فهم ينظرون بنور اللّه ، وينطقون بلسان النبوّة ، ويضربون بيد القَدَر ، لا يغريهم وعد ، ولا يثنيهم وعيد ، فهم من معدن لا تذيبه النار ، ولا يفله الحديد .

---

(١) التوبة : ٣٥ (٢) فاطر : ١٠ .

اهتدوا بالله فلم يضلوا ، واعتزوا بدينه فلم يذلوا ، وانتصروا بقوته فلم يُغلَبوا ، واستغنوا بغناه فلم يفتقروا . نشيد أحدهم :

أنا إن عشت لستُ أعدم قوتاً وإذا مت لستُ أعدم قبرا !

همتي همّة الملوك ونفسي نفس حــر ترى المذلة كفرا !

وإذا ما قنعتُ بالقوت عمري فلماذا أهاب زيداً وعمرا ؟!

جيل تنزل به المحن فلا تهزم إصراره ، ولا تخمد ناره ، ولا تطفئ نوره ، ولا تغلب صبره ، ولا تحطم عزمه ، ولا تفقده أمله ، بل يجعل منها فرصة لتطهير النفس ، وتمييز الصف ، ومراجعة الحساب ، والاستعداد للغد ، لا يهن ولا يضعف ولا يستكين ، وأسوته في ذلك أولئك الربانيون الذين نوّه الله بهم في كتابه : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

---

(١) آل عمران : ١٤٦ - ١٤٨

وبذلك يغلب المحن ولا تغلبه ، ويقهر الشدائد ولا تقهره ، ويخرج منها أطهر وأزكى ، وأصفى وأنقى ، كما جاء فى الحديث : « مَثَلُ المؤمن تصيبه المصيبة كمثل الحديدة تدخل النار ، فيذهب خَبَثها ويبقى طيبها » .

إن الذى يذل أعناق الرجال ، ويجعلهم أمام الجبابرة ضعفاء مهازيل ، أمران : الخوف ، والطمع ، وهؤلاء قد سدُّوا منافذ الخوف فى قلوبهم ، فلم يعودوا يخافون إلا الواحد القهار ويوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . كما أغلقوا أبواب الطمع فى نفوسهم فلم يبق لهم طمع إلا فى مغفرة من ربهم ، وجنَّة عرضها السموات والأرض ، لا يخافون على الأجل فهو محدود محتوم ، ولا على الرزق فهو مقدَّر مقسوم .

لا يستطيع متكبر جبار أن يذل نفوسهم ، أو ينكس رؤوسهم ، وإن صب عليهم سياط العذاب ، وأذاقهم العلقم والصباب ، فهو إنما يملك ظواهرهم ، ولا يملك بواطنهم ، يملك الجسم ، ولا يملك القلب ، يملك المحارة ولا يملك اللؤلؤة !

قد يستطيع أن يحبس أبدانهم عن الحركة ، ولا يستطيع أن يحبس أرواحهم عن الانطلاق .. فإذا تحدَّاهم فرعون من الفراعنة أن يقتلهم أو يصلبهم قالوا له ما قال السحرة حين

آمنوا : ﴿ فَاقْضِ مَا أنتَ قَاضٍ ، إنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

وماذا يملك العدو الجبار لهم ، وهم يدخلون المحن كما يدخل الذهب الأصيل النار ، لا تزيدهم المحن إلا نقاءً وإيماناً ، كما لا تزيد النار الذهب إلا صفاءً ولمعاناً ؟!

وماذا يملك الطاغية لمؤمن يستعذب العذاب من أجل عقيدته ، ويستمرئ المر فى نُصرة دعوته ؟! يسمى النفى هجرة إلى الله ، والسجن خلوة لطاعة الله ، والقتل شهادة فى سبيل الله !!

* * *

● جيل توازن واعتدال :

وهم - مع صلابتهم وقوتهم وجهادهم وغيرتهم - متوازنون معتدلون ، على صراط مستقيم . لا يميلون إلى اليمين ، ولا ينحرفون إلى الشمال ، لا يَغْرَقون فى الماديات ، ولا يُغْرِقون فى الروحانيات (٢) ، يعلمون أن لربهم عليهم حقاً ، وأن لأنفسهم عليهم حقاً ، ولأسرهم عليهم حقاً ، ولمجتمعهم عليهم حقاً ، فهم يعطون كل ذى حق حقه ، غير جانحين إلى الإفراط ، ولا مائلين

---

(١) طه : ٧٢

(٢) يغرقون - الأولى بفتح الياء والراء ، والثانية بضم الياء وكسر الراء .

إلى التفريط ، لا يطغون فى الميزان ولا يخسرون ، بل يقيمون الوزن بالقسط ولا يخسرون الميزان .

يأخذون بالعزائم ، ولا يغفلون الرُخَص ، فإن اللّه يحب أن تؤتى رُخَصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه . يُبَشِّرون ولا يُنَفِّرون ، ويُيَسِّرون ولا يُعَسِّرون ، فقد علّمهم القرآن أن اللّه يريد بعباده اليُسر ، ولا يريد بهم العُسر ، وما جعل عليهم فى الدين من حَرَج . يدعون إلى رسالتهم بالرفق لا بالعنف ، وبالحكمة لا بالحماقة ، ويجادلون بالتى هى أحسن ، قد وضعوا نُصب أعينهم قول ربهم : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) .

ينظرون إلى العُصاة كما ينظر الطبيب إلى المرضى ، لا كما ينظر الشرطى إلى اللصوص . لا يتهمون عاصياً بالكفر ، مخافة أن يرتد عليهم . ولا يقولون : هلك الناس ، متهمين غيرهم ، ومبرئين أنفسهم ، ففى الحديث : « مَنْ قال : هلك الناس ، فهو أهلكهم »(٢).

غيورون على دينهم ، متسامحون مع مخالفيهم ، مؤمنون بفكرتهم في غير تعصب ، معتدُّون برأيهم فى غير عناد ، فإذا كان

---

(١) النحل : ١٢٥ (٢) رواه مسلم

رأيهم صواباً يحتمل الخطأ ، فرأى غيرهم خطأ يحتمل الصواب . ومَنْ يدرى لعل رأيهم هو الخطأ بعينه ، وحسبهم أنهم مجتهدون مأجورون أصابوا أم أخطأوا .

يُفرِّقون بين الأصول والفروع ، فهم فى الأولى فى صلابة الحديد ، وفى الثانية فى ليونة الحرير ، ويميِّزون بين مراتب الأعمال وأحكامها ، مأمورات كانت أو منهيات ، فلكل عمل مرتبته ، ولكل مرتبة حكمها ، فالمفروض غير المندوب ، والمحرَّم غير المكروه ، والكبائر غير الصغائر ، والمتفق على وجوبه أو حُرمته ، غير المختلَف فيه ، وما ثبت بدليل قطعي غير ما ثبت بدليل ظنى ، وهم فى هذا لا يتعالمون ولا يدَّعون ، بل يسألون أهل الذكر ، ويرجعون إلى أهل الاختصاص ، فلكل علم أهله ، ولكل فن خبراؤه ، كما نطقت بذلك آيات القرآن : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (١) ، ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ (٢) ، ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

لهذا لا تشغلهم الجزئيات عن الكليات ، ولا تلهيهم المسائل الجانبية عن القضايا المصيرية ، ولا يدعون أوقاتهم وجهودهم

---

(١) فاطر : ١٤ (٢) الفرقان : ٥٩ (٣) النحل : ٤٣ ، والأنبياء : ٧

يأكلها الجدل فى الخلافيات ، والمراء فى الأغاليط ، والسؤال عن دم البعوض ، ودم الحسين مهراق ! اشتغلوا بالعمل عن الجدل ، وبالبناء عن الهدم ، وبالجمع عن التفريق ، وجعلوا شعارهم : نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .

وازنوا بين دنياهم وآخرتهم ، فأعطوا لكل منهما حقها ، فلم يهربوا من الدنيا هرب أهل الصوامع والعُزلة ، ولم يتكالبوا عليها تكالب أهل الشُح والغفلة .

لا يقولون ما قال الجاهلون : « ربنا آتنا فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق » (١) بل يقولون ما قاله المؤمنون : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) . ويدعون لأنفسهم بما دعا به رسول الله ﷺ لنفسه : « اللَّهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى » (٣) .

لا يهملون الجسم من أجل تصفية الروح ولا يغفلون الروح من أجل متاع الجسم . يمزجون بين الروح والمادة ، ويربطون بين الدنيا والآخرة ، ويجمعون بين العلم والإيمان ، بين الواقعية والمثالية ، بين

---

(١) البقرة : ٢٠٠ ، فى قوله تعالى : ﴿ ... وَمَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ .

(٢) البقرة : ٢٠١ (٣) رواه مسلم .

العقل الذكى والقلب النقى ، بين الثبات على الغايات ، والتطور فى الأساليب ، بين أداء الواجبات وطلب الحقوق ، بين الحرص على القديم والاستفادة من الجديد ، لا ينقطعون عن الماضى ، ولا ينعزلون عن الحاضر ، ولا يُفرِّطون فى قديم نافع ، ولا يضيقون بجديد صالح .

يطالبون أنفسهم بالواجبات التى عليهم ، قبل أن يطالبوا غيرهم بالحقوق التى لهم ، فجل ما يشغلهم : « ماذا علىَّ » ؟ ، وليس : « ماذا لى » ؟

نهارهم نهار العاملين ، وليلهم ليل القانتين ، تراهم بالنهار فرساناً وتحسبهم بالليل رهباناً ، كما وُصِفَ أصحاب رسول الله ﷺ وتابعوهم بإحسان ، لا يطغى عمل النهار على عمل الليل ، ولا عمل الليل على عمل النهار ، لا تلهيهم نافلة عن فريضة . ولا فرض عن فرض مثله أو أهم منه .

يتمتعون بالحلال من زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، ضاربين فى الأرض مبتغين من فضل الله ، ولكن أحدهم يبيت طاوياً بطنه على الطوى ، ولا تمتد يده ولا عينه ولا أمنيته إلى حرام ، فهم أعقل من أن يشتروا النار بلقمة أو شهوة ، وأوعى من أن يبيعوا الجنة بجناح بعوضة .

* * *

● أوّابون توّابون :

وهم بعد ذلك كله « أوّابون توّابون » .. إنهم يحذرون على أنفسهم من معصية اللّه ، أكثر مما يحذرون من أعداء اللّه وأعدائهم، فهم يسألون اللّه دائماً أن يكفيهم بحلاله عن حرامه ، وبطاعته عن معصيته ، وهم يخافون من معاصى القلوب أكثر مما يخافون من معاصى الجوارح ، فمعاصى القلوب أشد خطراً وأفتك أثراً : من الاستعلاء والكِبْر ، أو الغرور والعُجب ، أو الرياء وحب الظهور ، أو سوء الظن بالناس ، أو الحسد والبغضاء ، أو غير ذلك مما حذّر منه القرآن والحديث ، وسماه الإمام الغزالى «المهلكات » التى يذهب معها فضل الصيام ، وثواب القيام ، فهى تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب !

وحسبهم أن يقرأوا فى ذلك : « لا يدخل الجنة مَنْ كان فى قلبه مثقال ذَرَّةٍ من كِبْر »[١] ، « ثلاث مهلكات : شُحٌّ مطاع ، وهوًى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » . « إن اليسير من الرياء شِرك » . « دُبَّ إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة .. لا أقول : تحلق الشَعر ، ولكن تحلق الدين » .

---

(١) رواه مسلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (١) .

هذا هو موقفهم من المعاصى ، إنهم يخافونها ، وينأون بأنفسهم عن الأبواب التى توصل إليها ، والمسالك التى تُقرِّب منها ، سداً للذريعة ، وبُعداً عن الفتنة ، واتقاءً للشُبهة ، ومَنِ اتقى الشُبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه .

ومع هذا هم بَشر من ذُرِّية آدم الذى قال الله فيه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (٢) .

ليسوا ملائكة مطهَّرين ، ولا أنبياء معصومين . إنهم – ككل بنى آدم – خطَّاءون ، ولكنهم سرعان ما يفلتون من جاذبية التراب ، ويعودون إلى الله تائبين مستغفرين . شأن أهل التقوى : ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٣) . تذكروا عهد الله إليهم : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ الشَّيْطَانَ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي ، هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٤) .. تذكروا نعمة الله عليهم وميثاقه الذى واثقهم به إذا قالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (٥) .. تذكروا عهد الله بالأمس،

---

(١) الحجرات : ١٢ (٢) طه : ١١٥ (٣) الأعراف : ٢٠١

(٤) يس : ٦٠ - ٦١ (٥) النور : ٥١

ورقابته اليوم ، وحسابه في الغد ، فأبصروا ما كان خافياً عليهم ، أبصروا الغاية وأبصروا الطريق .

فإذا غلب ثقل الطين فيهم يوماً على شفافية الروح ، وانهزم باعث الدين أمام باعث الهوى ، لم يستسلموا للشيطان وجنوده ، بل قالوا ما قال أبوهم آدم وأمهم حواء : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

هذه مزيتهم : أنهم : ﴿ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) . ينظرون إلى ما ينزل عليهم دائماً من نِعَمٍ لله لا تتناهى ، وهو الغنى عنهم ، وما يصعد إليه سبحانه من أعمالهم الناقصة أو المخالفة وهم الفقراء إليه ، فيشعرون بالتقصير في حقه ، ويحسون بالتفريط في جنبه ، فينادون بما نادى به ذو النون ربه في الظلمات : ﴿ أَن لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .. فهم دائماً تائبون ، وأبداً مستغفرون . يدعون بما دعا به أُولوا

---

(١) الأعراف : ٢٣ (٢) آل عمران : ١٣٥

(٣) الأنبياء : ٨٧

الألباب : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِى لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴾ (١) .

* * *

● ذلكم هو الجيل المنشود :

هذا هو الجيل الذى ننشده ، وتنشده معنا الأمة كلها من جاكرتا إلى رباط الفتح ، وهو الذى نسعى جاهدين لتكوينه ، ونذيب حبّات قلوبنا من أجله .

وهو الذى تعمل القُوَى العالَمية والمحلية المعادية للإسلام على إجهاضه قبل أن يولد ، وعلى وأده بعد أن يوجد . فإن أعياها هذا أو ذاك ، فلتحاول تضليله عن الهدف الحقيقى بأهداف موهومة ، وشغله عن معركته الكبرى بمعارك جانبية تافهة ، وتعويقه عن السير بصدامات تفتعلها على الطريق ، وإلهائه عن ضرب العدو بضرب بعضهم ببعض ، وإغراقه فى دوامة من الجدل لا يخرج منها .. إلى غير ذلك من أسباب الفتنة وأساليب الكيد ، وهو عنها غافل .

---

(١) آل عمران : ١٩٣

هذا الجيل وتكوينه يجب أن يكون الشغل الأول للحركات الإسلامية المعاصرة ، كما يجب على الدعاة والمفكرين والفقهاء والمربين أن يتعاونوا على حسن إعداده وتربيته تربية متكاملة : روحياً وجسمياً وعقلياً وأخلاقياً واجتماعياً وسياسياً ، ويعملوا على حمايته من نفسه أولاً حتى لا يتآكل من الداخل . ثم حمايته من كيد الأعداء ، وجهل الأصدقاء .

إنه الجيل الذى ادخره اللّه ليحمل روح أبى بكر فى مقاومة الردّة وحرب المرتدين ، ووصفه اللّه بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

إن هذا الجيل المنشود هو جيل النصر . هو الذى تتحرر على يديه فلسطين وأفغانستان وأريتريا والفيلبين وبخارى وسمرقند ، وكل أرض دنّسها الطواغيت والفُجّار .

هو الجيل الذى ترتفع به راية اللّه فى أرض اللّه ، ويسود به دين الخالق دنيا الخلق ، وتشرق به أنوار السماء على ظلمات الأرض .

(١) المائدة : ٥٤

هذا الجيل هو الجدير بأن يتنزل عليه نصر الله ، وأن تسير فى ركبه الملائكة ، وأن يكون كل شئ فى الوجود مسخَّراً لنُصرته ، حتى يقول له الحَجَر والشَجَر : « يا عبد الله .. يا مسلم .. هذا عدوك خلفى ، فتعال فاقتله » !

والنداء اليوم موجَّه إلى أبناء الإسلام وبناته أن يتجاوزوا مرحلة الوَهن والغُثاء ، إلى مرحلة القوة والبناء ، ويلحقوا بركب الجيل الربانى المنشود ، وقد بدت بفضل الله بشائره ، وظهرت فى كل ديار الإسلام طلائعه . ولم تضع جهود المصلحين الصادقين هباء :
﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

أما مَنْ رَضِىَ لنفسه أن يقعد مع القاعدين ، أو يلهو مع الغافلين ، أو يسير فى رِكاب المبطلين ، فحسبه أنه خسر نفسه وربحه الشيطان . وأسخط ربه وأرضى عدوه ، وضيَّع على نفسه أعظم تجارة فى الدنيا والآخرة .

على نفسه فليبك مَنْ ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم !

* * *

---

(١) البقرة : ١٤٣

محتويات الكتاب

رقم الإيداع

٨٨/١٧٩٧

I. S.B. N

9 77–307–127–3